City Rooster
Copyright © 2006 Ali Darwish. All Rights Reserved.

ديك المدينة

بقلم علي درويش
٢٤ نيسان ٢٠٠٦

كان ناصعَ البياض نقيَ العرفِ شامخَ الهامةِ فخوراً أبياً كصاحبه. وكان يفيق كل يوم في الفجر ويقفز من شرفة المطبخ إلى غرفة النوم عبر النافذة ويقف على حافة السرير ويصيح بأعلى صوته ولا يكفّ حتى يفيق أخي من نومه، فيقترب منه بحب وينقر خده نقراً خفيفاً كأنه يقول له: "صباح الخير". فإذا قام أخي من السرير سار خلفه وهو يَصُوتُ في حبور. وإذا جلس أخي حام حوله ولم يفارقه.

كان أخي يربتُ على ركبته إيماءً للديك فيقفز الديك ويهبط في حضن أخي ثم يرفرف جناحيه ويصيح صياحًا فخوراً. وإذا ضرب أخي بذراعيه على منكبيه وصاح مقلداً الديك، قلده الديك فضرب بجناحيه جنبيه وصاح صياحاً جميلاً كأنه يغني في مباراة غنائية. هكذا كانت علاقة الديك بأخي علاقة ودٍ وألفة ووفاء.

كان من بين خمسة صيصان صفراء اشترتها أمي من بائع الدجاج المتجول ذات يوم. مات أحدها غرقاً في دلو الغسيل، وديس على أحدها وهو بعد صوص صغير، وأعطت أمي اثنين منها لزوجة أخي الكبير، وبقي صوص وحيد، فتعهده أخي بالعناية والرعاية فكبر وصار ديكاً جميلاً ناصع البياض، له عرف أحمر نقي نقاء دم الوريد، وعينان متنبهتان ترقبان كل حركة. فنمت بينهما رابطة قوية. لعل الديك قد شعر أن في أخي ما فيه من العزة والإباء، أو لعله وجد فيه الحصن الحصين والدرع المتين فاحتمى به من سطوة البشر وتقلب أهوائهم.

مرت الأيام والشهور، ثم جاء ذلك اليوم المشؤوم. فمصير كل الديوك في دنيا البشر الأكل. فأعدت أمي أكلة الملوخية وكان للديك المسكين نصيب كبير فيها. وعندما حان وقت الطعام، حزن أخي حزناً شديداً ولم يأكل من الديك لقمة ولم يجلس إلى المائدة طوال النهار. بل صام عن الشراب والطعام وأعلن الحداد يومين. ومنذ لك اليوم الحزين وأخي لا يقرب لحم الدجاج ولا يأكله، وفاءً لذكرى ذلك الديك العزيز الذي لم يسعفه حظه ولم ينجه حبه ولم يحمه وفاؤه، وإنْ كان ديكَ المدينة!

علي درويش
٢٤نيسان ٢٠٠٦